الاتحاد العربي للمدارس الخاصة
Arab Private Schools Federation

ابتكار الإيجابية

رحلة التجديد مع العام الهجري الجديد

360 KNO SMART SCHOOLING
ADVANCE THROUGH TECHNOLOGY
unicef
UNESCO
United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization
GenEx
Generational Education Exchange
تمكين TAMKEEN
UNIVERSITY OF VICTORIA LONDON - UK
AMIEF
American International Education Federation

د. خميس بن عبيد العجمي

رئيس الاتحاد العربي للمدارس الخاصة

رئيس مجلس أمناء مدارس كينو الخاصة بسلطنة عمان

في مطلع كلّ عام هجريّ جديد، تتجدّد في قلوب المؤمنين رغبة عميقة في التّغيير والتّطوير، وهذا التجديد لا يفترض به أنْ يكون تبديلاً في أرقام التقويم أو قوائم الأهداف المعتادة، أي بما معناه لا يفترض أنْ يكون ضمن مفهوم التّغيير الزّائف، إنّما وجب أنْ يكون دعوة حقيقيّة لإعادة بناء الذات على أسس راسخة من التقوى والإيجابيّة الحقّة والتجديد الحقيقي، وهو ما نسعى لحدوثه تحت مظلة ما يمكن تسميته ب"ابتكار الإيجابيّة"، من منطلق الرغبة بتجاوز التفاؤل السطحي إلى بناء منظومة حياتية متكاملة تجعل من كلّ يوم فرصة لتحقيق معنى أعمق للوجود.

ولو أردنا الغوص في غمار هذه الرؤية" ابتكار الإيجابيّة"، لوجدنا أنّ أساسها وجوهرها يكمن في التقوى كمنطلق جوهريّ، وكنهج حياة شامل، فهي ليست مجرد أداء للشعائر الدينية، إنّما هي وعي مستمرّ بحضور الذات الإلهية في كلّ لحظة من لحظات الحياة، وهذا الوعي يخلق توازناً فريداً بين الجانب الروحي والمادي، وبين الدنيا والآخرة، وبين الذات والمجتمع، وعندما تصبح التّقوى هي البوصلة الداخلية للإنسان، تتحوّل حياته آنذاك إلى مساحة إبداعيّة لصنع الإيجابيّة.

فالمتّقي يستطيع أنْ يضبط نفسه عند الغضب، ويتحلّى بالصبر عند الابتلاء، ويلتزم بالأخلاق الحسنة حتّى وإنْ لم يره أحد، فهذا الانضباط الداخلي هو الذي يمكّنه من ابتكار حلول إيجابيّة للتحدّيات، بدلاً من الاستسلام للسلبية أو اليأس.

وبالنظّر للحياة من زاوية أعمق بمنظور التقوى، فإنّنا نجد أنّ الحياة تتّسم بتأرجحها وعدم اتّزانها، وتراوح بنا بين الثنائيات، فتارة تأخذنا في فرح وتارة في حزن، وأخرى في صحة، وغيرها في مرض، ومرة في نجاح، وفي نقضيه من إخفاق، إذ يقول اللّه تعالى"وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ"، فهذه حقيقة لا مفرّ منها، فالسعيد حقاً هو من يحمل في قلبه أصلاً ثابتاً لا يتزعزع مهما تقلّبت الأحوال، فهو في ثبات وسط أيّ متغيّرات، وهذا الأصل هو التقوى.

ومن زاوية أخرى فالتقوى زينة للغني إنْ رافقته فضلاً عن أنّها تعمل على حفظه من الطغيان، وإنْ صاحبت الفقر فتحت أبواب الصبر والرضا، وإنْ نَعِمَ بالعافية اكتملت بها النعمة، وإنْ ابتُلي صبر واحتسب ونال الأجر، وهكذا يصبح المؤمن محصّنًا ضدّ تقلّبات الزمان، لأنّ سعادته لا تعتمد على الظروف الخارجية، إنّما على علاقته باللّٰه.

ولو نظرنا للإيجابية الحقيقيّة فإنّنا سنجدها تحتاج إلى عمل واعٍ ومستمر لإخراجها من أنْ تكون مجرد شعور عابر أو تفاؤل أعمى، لتغدو عملية إبداعية ترتبط بإعادة برمجة العقل والقلب معاً؛ فعلى مستوى العقل، فإنّ الإنسان يحتاج إلى تحديد المعتقدات السلبية التي تسيطر على فكره وإحلال الإيجابية مكانها لتكون مؤسّسة على الحق، فعوضاً عن قولنا "لا نستطيع" نقول "بإذن اللّٰه سنحاول"، وبدلاً من "الدنيا ظالمة" نقول "اللّٰه عادل وحكيم في كلّ ما يقدّره"، وعلى مستوى القلب، فهو يحتاج إلى تغذية بالامتنان اليومي، بأنْ نستشعر الامتنان لما نملكه من نعم، ونتدبّر آيات القرآن التي تذكّرنا بنعم اللّٰه التي لا تُحصى.

فضلاً عن أنّ الإيجابية الحقيقيّة تحتاج إلى عادات يومية تغذّيها وتقوّيها كالاستيقاظ مع الفجر لا لأداء الصلاة وحسب، إنّما لاستقبال يوم جديد بطاقة متجدّدة وذهن صافٍ، فساعات الفجر الأولى تحمل بركة خاصة تنعكس على بقية اليوم، وقراءة القرآن بتدبّر، لا لمجرد التلاوة وحسب، إنّما لخوض حوار مع اللّٰه والاستماع لما يقوله لنا من خلال آياته، واستلهام للحكمة والتوجيه في أمور الحياة اليومية، والرياضة والعناية بالجسد لكونه أمانة من اللّٰه، فالعقل السليم في الجسم السليم، والطاقة الجسدية تعزّز الطاقة الروحية والنفسية.

كما أنّ الإيجابية الحقيقية لا تكتمل إلا بالعطاء ونشر الخير في المحيط، وهذا يبدأ بأبسط التفاصيل مع الأهل والأصدقاء من خلال التّواصل الفعّال بكلمات التّشجيع والدّعم، والابتعاد عن النّقد الهدّام والكلام السلبي، فالكلمة الطيبة صدقة، والابتسامة عبادة، وفي المجتمع بالمبادرة بمساعدة المحتاجين، والمشاركة في الأعمال الخيرية، وتقديم الخدمات التطوعية، فالعطاء يزيد السعادة ويخلق دائرة إيجابية تتسع لتشمل أكبر عدد ممكن من الناس.

إلاّ أنّ واقعنا قد يصدمنا بما فيه من تحديات حقيقية تهدّد هذه الإيجابية، فالجرائم الأخلاقية كالكذب والتزوير والاحتيال تؤثّر بشكل مباشر في تعاملات الناس اليومية، وتضعف الثقة بين الأفراد، وتهدّد استقرار المجتمع.

فعندما ينتشر الكذب في الإعلانات أو الوعود التجارية، أو يتمّ تزوير المستندات للحصول على عقود غير مستحقة، أو يُخدع المستهلكون بالاحتيال المالي، فإنّ ذلك يؤدّي إلى سلسلة من الآثار المدمرة، وعندما يفقد الناس الثقة في بعضهم البعض، تصبح العلاقات مبنية على الشك والحذر بدلاً من الثقة والتعاون، فهذه الممارسات تؤدي إلى انتهاك حقوق الآخرين بحرمان أصحاب الحقوق الشرعية ممّا يستحقون، وهدر الأموال والجهود في متابعة القضايا القانونية الطويلة والمكلفة، وضياع الوقت الثمين في التقاضي والمحاكمات بدلاً من استثماره في التنمية والعمل الإيجابي.

وهنا يأتي دور ابتكار الإيجابيّة كمنهج شامل للتّعامل مع هذه التحدّيات، فعلى المستوى الفردي يتمّ التّمسّك بالصدق والأمانة في كلّ التّعاملات، حتّى لو كان ذلك يعني خسارة مالية مؤقتة، فالبركة في الصّدق أعظم من أيّ ربح مادي، وعلى المستوى المجتمعي من خلال بناء شبكات من الثقة والتعاون المبنية على القيم الإسلامية، وتعزيز الرقابة المجتمعيّة الإيجابيّة التي تحمي الحقوق دون إيذاء الأشخاص، وعلى المستوى المؤسسيّ من خلال المؤسّسات التي تطبّق مبادئ العدالة والشفافيّة، والمقاطعة الذكيّة للممارسات غير الأخلاقيّة.

وفي بداية عام هجريّ جديد، تتجلّى فرصة للتجديد الحقيقي، وتحقيق الوعود المؤجلة وتحويلها لتغيير فعلي، فكثيراً ما نبدأ العام الجديد بقوائم طويلة من الأهداف والوعود، لكنّنا نتخلّى عنها بعد أسابيع قليلة، والسرّ في استمرارية التّغيير يكمن في ربطه بمعنى أعمق من مجرد الإنجازات الشخصية، ونحن عندما ندمج بين التقوى وابتكار الإيجابية، نصنع عاماً مختلفاً حقاً، عاماً نطوّر فيه إيماننا لا بزيادة العبادات وحسب، بل بتعميق فهمنا لدين اللّٰه وتطبيقه في جوانب الحياة كلّها، وعاماً نكتشف فيه طاقاتنا بالخروج من منطقة الراحة واستكشاف قدرات جديدة، وتحويل التحديات إلى فرص للنمو والتطور، وعاماً نؤثّر فيه إيجابياً في أنفسنا أولاً، ثمّ في أسرنا ومجتمعنا، فنكون سبباً في انتشار الخير والإيجابيّة.

وفي نهاية المطاف،

فالتقوى والإيجابيّة أسلوبا حياة يتطلّبان إرادة قوية والتزاماً يومياً، لا مجرّد شعارات نردّدها أو أهدافاً نكتبها في بداية العام، فإذا أردنا عاماً مليئاً بالبركة والنجاح الحقيقي، فلنجعل مرضاة اللّٰه هدفنا الأسمى، ولنبتكر الإيجابيّة في كلّ خطوة نخطوها، فالحياة ليست مجرّد أيّام تمرّ دون معنى، بل هي فرص ثمينة نصنعها بأيدينا وقلوبنا وأفكارنا، وكلّ يوم جديد هو فرصة جديدة لنكون أفضل ممّا كنّا عليه بالأمس، وأقرب إلى اللّٰه ممّا كنّا عليه من قبل، يقول اللّٰه تعالى:﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:282)، فمن يتق اللّٰه، يمنحه اللّٰه الحكمة والفهم، ويُشرق حياته بالإيجابية الحقة والرضا الدائم، وهذا هو أعظم ما يمكن أنْ نحقّقه في العام الجديد.

فمهما اشتدت البلية وتكاثرت الهموم، فاعلموا أنّ لكم عند اللّٰه منزلة لا تبلغونها بأعمالكم، فيبتليكم بحكمته، ويلهمكم الصبر حتى تصلوا إليها، فهو سيبتليكم في دينكم وعقيدتكم، وفي صحتكم وقوتكم، وفي رزقكم ومالكم، وفي أهلكم وولدكم، وفي عرضكم، فلا تكرهوا ما قسمه اللّٰه لكم، فإنّكم على البلاء مأجورون، وعلى المرض مأجورون، وعلى الفقر مأجورون ، وعلى الصبر مأجورون ، فكلّ هذه المحن ليست إلا مدارج ترفع بها درجات العابدين، ومصاعد تصعد بها أنفس الصابرين المحتسبين، وتذكّروا بأنّ ربّ الخير لا يأتي إلاّ بالخير، وإنْ أبطأ عن العقول إدراكه، فإنّ عواقبه تزهو بالبركات.

ARAB-PSF.COM